زوال النعمة انما حدثت بسبب شوم فعل الادمي اما بترك الشكر واما بارتكاب المعصية وعوران
يكون معناه في الاغلب والاكثر فان الانبيا والاوليا تصيبهم البلايا واللاوا ولا تكون لهم سيئة فارجوا
على انفسكم باللوم والتوبيخ لكيلا تاسوا على ما فاتكم اعلموا ان العطية كانت مقدرة بالوقت الذي جاورتكم
فيه ومن اعطي شيا الى الوقت المعين لم ينبغ له اذا استرجع منه ان يحزن ولا تفرحوا بما اتاكم اي لا تاشروا
وتبطروا به وتتكبروا على من لم يوت مثل ما اوتيتم لانه عارية عندكم وليس بملك فان حقيقة الملك لله
وليس للمستعير ان يفرح بالعارية لانه لا يامن في كل لحظة ان يسترجعها منه صاحبها فيا معشر الفضلا
تفكروا ويا جمهور العقلا تذكروا ان جميع انواع الدنيا واملاكها من النقود والاملاك والاموال
والاولاد والجاه والحشمة كلها عوارض مردودة فاسمعوا بها قبل ان استرجاعها وغير هذا لطال
العلما الانبيا لا يورثون لانما لهم حقيقة بل كانت عوارية فلما قبضوا استردوا والصلابة يقينهم وجوز
للامة القسمة والتوريث لضعف يقينهم ومساس حاجتهم وقال ابن عباس رضي الله عنهما في قوله لكيلا تاسوا
على ما فاتكم ولا تفرحوا بما اتاكم قال ليس احد يفرح ويحزن ولكن اذا اصابته مصيبة جعلها صبرا وان اصابه
خير جعله شكرا وسلى نفسه ٥ شعر

يا نفس صبرا لست اول وامق ... ورفقا فان الحب فيه عجايب
كريم اصابته من الله نكبة ... واي كريم لم تصبه النوايب

وان عوفي من مرضه او نكبته فلا تاخذه الاشر والبطر فيقول تخلصت واسترحت فالدار دار حوادث
وان القضا بالمرصاد فهذا نتيجة حكام النفس والهوى فكيف بجوامع الحكم والقضا مات رسول الله
صلى الله عليه وسلم وما خلف الا قميصه الذي توفي فيه ومات ابو بكر رضي الله عنه وما خلف درهما ولا دينارا
وابو ذر في النزع واهله تقول تموت وليس عندك احد من الرجال وليس عندنا ما نكفنك فمن لم يتسل بالنبي
واصحابه فاعلم انه مطبوع على قلبه ولم يرد الله به خيرا قط فرحم الله امرا اقتدى بالنبي صلى الله عليه وسلم واصحابه
واقتدى بهم رضي الله عنهم فلو كانت الدنيا خيرا لكسبوا اليها رسول الله صلى الله عليه وسلم ٥ وروي
ان يهوديا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال ادع الله لي فقال اكثر الله مالك واطال عمرك واصح
جسمك وديتك وقال الاكثرون هم الاقلون الا من قال بالمال هكذا وهكذا وقليل ما هم قال الضحاك
الاكثرون هم اصحاب عشرة الاف دينار واعلم انك لو اردت ان تجرب نفسك في ترك ولاية او تجرع
غصص واخبار رغم له لعصت عليك ولو تشفعت اليها جبريل وميكائيل وكل ولي وزاهد لم تجب حتى
تستفرغ اليها بالجوع ثم تطيعك وتسلى عن الشهوات واللذات و نذكر اسباب

اراك على البطالة لا تبالي ... حلالا كان كسبك ام حراما
وتقطع طول عمرك بالتمني ... وبالتسويف عاما بعد عاما
ولو علم الخلايق ما تسوا ... فعلي لما ردوا على مثلي سلاما

واعظم مصيبة نزل بالانسان عبادة نفسه فمن ابتلي به قسا قلبه ولم يخرج عن متابعة الهوى ومن كان
متابعا للهوى كان النار له ماوى ومن جزع في المصايب فقد ارغم القضا والقدر كما قيل لا ارضى
بالقسمة ولا اشكر على النعمة ولا استغفار على المعصية ولا اصبر على المحنة فان حقيقة العبودية قال النبي
اني لا اصاب بالمصيبة فاحمد الله عليها اربع مرات احمده اذ لم يكن اعظم مما هي واحمده اذ رزقني الصبر عليها
واحمده اذ وفقني للاسترجاع لما ارجوا فيه من الثواب واحمده اذ لم يجعلها في ديني ٥ وحكي ان نصرانيا تطبب
الى ابي بكر بن عياش فولى وجهه الى الحايط وقال بعد ان صرفت عني ما هو فيه فاصنع بي ما شئت واصابت
الربيع بن خثيم الفالج وقال والله ما احب ان هذا الذي بي باعتى الديلم على الله عز وجل وقيل له لو تداويت
قال قد هممت ثم ذكرت عادا وثمودا واصحاب الرس كانت لهم اطبا فما بقي المداوي ولا المداوى ثم انشد يقول

ما للطبيب يموت بالداء الذي ... قد كان يبري مثله فيما مضى
هلك المداوي والمداوى والذي ... جلب الدوا وباعه ومن اشترى

وقال النخعي لابراهيم التيمي وهو في البلاء لو دعوت الله عز وجل ان يفرج عنك قال اني لاستحي ان اساله ان يفرج
عني مما فيه اجري ٥ وعن عطا هو ابن الرشد ما اختلف الليل والنهار ولا دارت نجوم في فلك

الا نقل النعيم عن ملك ... قد انقضى ملكه الى ملك

الباب الرابع في بيان ان الناس اشد بلاء

فان صابك وخوشيت بلا فلكن لك في رسول الله اسوة حسنة فان اشد الناس بلاء الانبياء ثم الاولياء
سويد بن عبد الله قال دخلت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يوعك وعكا شديدا كما يوعك رجلان
منكم قلت ذاك بان لك اجرين قال اجل وما من رجل مسلم يصيبه اذى من مرض وما سواه الا حط
الله عنه سياته كما تحط الشجرة ورقها وقال اشد الناس بلاء الانبياء ثم الصالحون ان كان احدهم يبتلى بالفقر
حتى ما يجد الا العباءة يلبسها ويبتلى بالقمل حتى يقتله ولاحدهم كان اشد فرحا بالبلاء من احدهم بالعطاء
ذلك لعلمهم ان الدنيا لا بقاء لها وان البلي كاسبهم واما نحن فقد شغلونا وطبع على قلوبنا وصدورنا
فقلبنا بلا كربا ان نرقى الى السما اولئك الرجال ونحن المتخلفون المبتلون بالبطن والفرج شتان
بين هوى ورجال في رواية حتى يبتلى الرجل على قدر دينه فان كان صلبا في دينه اشتد بلاوه وان كان

Copyright © King Saud University